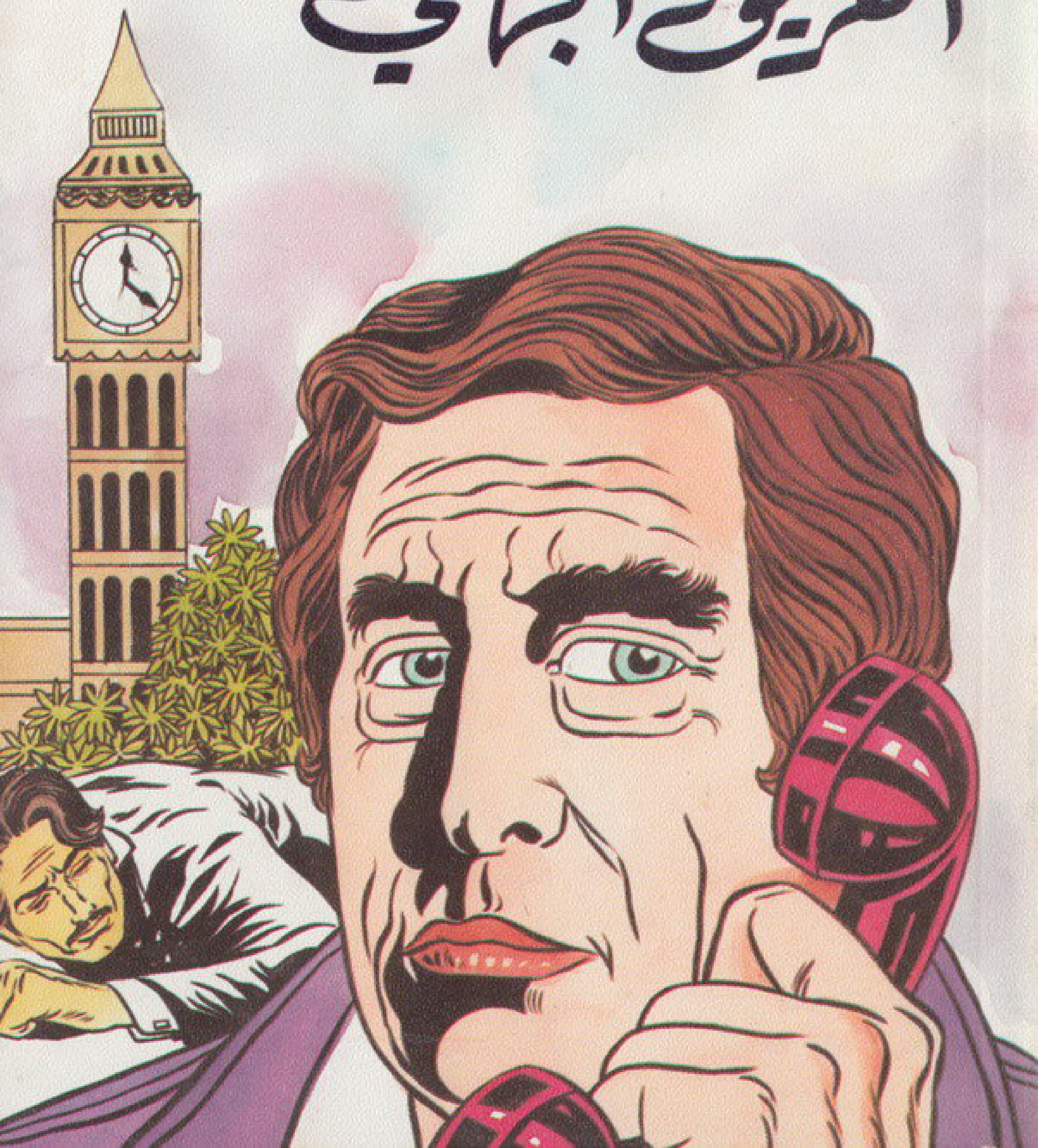
٢٠

سلسلة رجل المهام الصعبة

الفريقُ الجُهنّمي





الفريقُ الجُهنّمي



سِلسلة
رَجُل المَهَام الصَّعبَة

المغامرة العشرون

الفريقُ الجُهنّمي

تأليف : مجدي صابر

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٩٩٣



دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

ص.ب ٨٧٣٧ - برقياً : دار جيلاب - تلكس : ٤٢٦٤١ دار جيل

رجل المهام الصعبة:

إنها سلسلة جديدة حافلة بالاثارة والمغامرة نقدّمها لك أيها القارئ العربي الكريم..

ففي ظل عالم بات يعتمد كثيراً على أجهزة مخابراته ووسائلها السرية لتحقيق أهدافه.. وفي ظل ما يسمى بحرب المخابرات السرية.. وفي ظل أقصى درجة من المهارة والذكاء يبرز اسم « ماجد شريف ».. فهو طراز جديد فريد لا مثيل له في عالم المخابرات..

وإذا كان « جيمس بوند » هو أسطورة الغرب في دنيا المخابرات.. فإن « ماجد شريف » هو الأسطورة القادمة من الشرق.. من الوطن العربي الكبير..

فهو الرجل الذي لا يقهر.. والذي يدخره رؤساؤه للحظة الأخيرة.. حيث لا يكون هناك حل آخر غير « ماجد شريف »..

ولم يحدث أن خيّب « ماجد » أمل رؤسائه فيه أبداً..

« اغتيال »

اعتاد جواد شكري القيام بذلك الروتين ليحافظ على رشاقته.. كان قد تجاوز الخمسين بسنوات قليلة، ولكنه بالرغم من ذلك كان قادرا على الجري حول مضمار حديقة النادي الكبيرة ست مرات كل صباح، يقطع فيها مسافة لا تقل عن عشرة كيلومترات.

وبعدها كان يقطع حمام السباحة العريض سباحة جيئة وذهابا عشرات المرات وهو يضرب الماء بقوة، مهما كان الطقس باردا، وخاصة في الصباح الباكر لشتاء لندن الطويل الثقيل.

وعندما ينتصف النهار يكون جواد شكري قد أتم تمارين اللياقة البدنية، التي حافظت على مرونته الفائقة واحتفاظه بشبابه الدائم برغم تجاوزه الخمسين..

وربما كان جواد يفعل ذلك بحكم التعود على أشياء قضى سنوات طويلة يمارسها.. وربما لأنه لم يشأ أن ينتهي ذلك الماضي الذي أحبه.. حتى وإن كان قرار الاستغناء عن خدماته قد صدر منذ بضعة أشهر مع رسالة شكر عميقة ومكافأة ضخمة في البنك.. ومسدس للحماية الخاصة غير مرخص لاستعماله إلا في حالة الدفاع عن النفس فقط.

ومن قبل أشهر قليلة كان من حقه استخدام ذلك المسدس في عمله بالكيفية التي يراها كفيلة بألا تثير أزمة دبلوماسية بين حكومة بلاده وبين الحكومة الإنجليزية أو بطريقة أخرى لا تكشف كونه ضابط مخابرات.. يعمل تحت ستار وظيفة مدنية في سفارة بلاده في عاصمة الضباب.

والآن لم يعد ذلك المسدس غير ذكرى.. وهو يرفض حتى أن يحمله معه إلى أي مكان.. كأنه حينما تسلم قرار إحالته للمعاش قاطع كل ما يذكره بعمله السرى إلى الأبد.. حتى وسيلة حمايته الشخصية.

وربما كان جواد غاضبا لأنهم استغنوا عنه هكذا مثل « البغال الحكومية »، التي إذا ما كبرت سنها وقلت فائدتها

يطلقون عليها الرصاص ليتخلصوا منها بدلا من إطعامها والانفاق عليها دون فائدة منها.

وهم قد عاملوه بنفس الطريقة.. بالرغم من الخدمات العظيمة التي أداها لبلاده.. وهو كان يعرف أن تلك هي القواعد في عمله وأن استثناء ما لم يتم بشأنه.. بالعكس كانت مكافأته أكبر من المعتاد وخطاب التقاعد أكثر حرارة.. فلماذا الغضب ؟.

لعله كان ينتظر منصبا قياديا في بلاده.. أو حتى يطمع في ترأس جهاز مخابرات بلاده.. أو حتى إدارة عملياتها الخارجية.. ولكن شيئاً من ذلك لم يتحقق.

فللنجاح أعداؤه.. وهكذا تم التخلص منه سريعا دون ضجة.. في الوقت الذي صار جواد يشعر فيه أنه أفضل من أي وقت مضى !.

وأنهى حمامه البارد فاستعاد كامل لياقته وبشيء كبير من الانتعاش.. وراح يجفف جسده ويرتدي ملابسه استعدادا لتناول إفطاره الشهي في مطعم النادي الفاخر.. الذي لا يرتاده غير الارستقراطيين وأثرياء « لندن ».. والذي أتاحت

له الشركة الضخمة التي أقامها بعد تقاعده الانضمام إلى قائمة أصحاب الملايين في عاصمة الضباب.. بتسهيلات من بلاده.

وهو لم يكن يعتني كثيراً بالمال.. فلم تكن له زوجة أو أولاد ليهتم بشأنهم.. فوقته وعمله لم يسمحا له بأن يفكر في الزواج أو الاهتمام بأي شيء آخر.

وغادر الحمام وهو في قمة تيقظه ونشاطه.. ولكن وقبل أن يدلف خارجا صوب المطعم الأنيق، جاء صوت من الخلف بإنجليزية سليمة يقول: مستر جواد شكري ؟.

التفت جواد إلى الخلف عاقدا حاجبيه، ورمق متحدثه الذي كان في كامل ملابسه، وقد أضفت عليه نظارته السوداء العريضة والقبعة الكبيرة والمعطف الثقيل بعض الغموض والإثارة، وسأل جواد محدثه: ماذا تريد ؟.

لم ينطق ذو المعطف الثقيل بشيء، بل تحركت أصابعه لتخرج شيئاً من جيب معطفه الواسع وصوبه إلى صدر جواد..

كان مسدساً مثبتاً به كاتم للصوت من عيار ٣٨ م ويعرفه رجل المخابرات السابق حق المعرفة، ويعرف ماذا

يمكن أن تفعل طلقة واحدة منه بمن تصيبه.

وقبل أن يفكر جواد في أن يفعل شيئاً ما انطلقت ثلاث رصاصات في صوت خافت، واستقرت كلها في مكان ما بصدر جواد.. مكان القلب تماماً فتفجرت الدماء غزيرة منه.

وسقط الجسد الذي كان ينبض نشاطا وحيوية منذ لحظات ممددا على الأرض غارقا في بركة من الدماء دون أن يطلق صاحبه حتى آهة ألم.

واستدار ذو المعطف الثقيل ليغادر المكان، وقد أحكم إغلاق ياقة معطفه حول رقبته خشية من هواء « لندن » البارد ومطرها الغزير.

* * *

راقب سلمان الريدي المشهد المثير في نشرة أخبار المساء.. والجسد المدد في أرضية الحمام الغارق في بركة من الدماء.. والمذيع يقول بأن الشرطة لا تزال تحقق في الحادث وليس لديها أي تفسير عن دافع قتل رجل الأعمال العربي، وأن سفارة بلاده طلبت سرعة الانتهاء من التحقيقات

وشحن الجثة إلى بلادها.. دون أن يساعد التحقيق بأي شيء يفيده.

أغلق سلمان التليفزيون ووضع رأسه بين كفيه في تفكير عميق.. كان صديقا لجواد وعلى صلة جيدة به لسنوات مضت.. باعتبارهما عربيين يعملان في عاصمة الضباب في مهنة واحدة.. وأن اختلفت بلد كل منهما.. ولقد أديا مهمة أو مهمتين معا منذ سنوات بعيدة.

وفاجأته الجريمة وأحس بحزن يعتصر قلبه.. وتساءل في غضب : هل كان قتل جواد بسبب دافع شخصي أم باعتباره رجل مخابرات.. سابق ؟.

تحركت فيه غريزة الخطر.. كانت الجريمة منفذة في مهارة ودقة دون أي أثر للقاتل.. كأن في ذلك إعلانا خاصا عن أن الفاعل.. ينتمي إلى نفس المهنة.

فالقواعد التي يعمل بها نفس الرجال في نفس المهنة واحدة..

وجاء صوت زوجته من الخلف متسائلة : هل أنهيت ارتداء ملابسك يا سلمان.. لم يتبق على موعد حفل العشاء

الذي دعينا إليه غير ربع ساعة فقط.

نهض سلمان في تقطيب قائلاً : لقد انتهيت.

وظهرت زوجته في ملابس محتشمة، وتأملت وجه زوجها الشاحب قليلاً وسألته في قلق : ماذا حدث ؟.

ولكنه أجابها مقطبا : لا شيء..

واستدار كأنه يحاول أن يخفي مشاعره الحقيقية وهو يجيبها : ألا يمكننا أن نعتذر عن الذهاب إلى دعوة العشاء هذا المساء فإنني متعب قليلا.

فأجابته الزوجة مستنكرة : سوف يغضب أصحاب الدعوة خاصة وقد أجريت اتصالاً هاتفياً بهم لأعلن حضورنا.

كما أنك كنت في أشد الحماس للذهاب إلى ذلك الحفل، فما الذين حدث خلال تلك الدقائق القليلة ؟.

فنطق سلمان بغم مزموم قائلاً : حسناً.. سنذهب ولكننا لن نأخذ الأطفال معنا.

ــ ولكن..

ـ لن نأخذ الأطفال معنا !.

كررها سلمان بصوت حاد.. وأدركت الزوجة أنه لن يتراجع عن قراره الذي رأت أن لا تفسير له..

وهي قد اعتادت مثل تلك القرارات المفاجئة لزوجها الذي كان كثيرا ما يتغيب عن المنزل أو يغيب في سفريات طويلة دون أن يمنحها تفسيرا شافيا.. وحتى الكثير من تصرفاته كانت تراها مثيرة للدهشة والغرابة.

بل حتى مجرد الاتصال به في مقر عمله بلندن كان ممنوعا عليها. وهي قد اعتادت الطاعة برغم دهشتها.

واحترمت خصوصيات زوجها..

غير أنه منذ بضعة أسابيع قليلة صار أكثر عصبية وحدة.. وشعرت أنه صار مثل الأسد الحبيس في عرينه.. كأنه صار في سجن يرغب في تحطيم قيوده.

بالتحديد صار سلوكه خشنا وعصبيا منذ أحيل إلى التقاعد المبكر من عمله.. وبالرغم من العروض الكثيرة التي تلقاها للعمل في أماكن خاصة أو المشاركة في مشاريع ناجحة فقد رفض ذلك، مكررا قوله بأنه تعب كثيرا ويريد

أن يستريح، ويتمتع بحياته أو ما تبقى منها.

وهي كانت تشعر أن في حياة زوجها سرا ما.

وذات يوم لمحت طرف مسدسه الذي كان يخفيه تحت ملابسه.. ولحظتها أدركت أو خمنت طبيعة: عمله. ولكنها كتمت لسانها ولم تنطق بشيء.. وباتت تتوقع عدم عودة زوجها إلى الأبد في كل صباح عندما يغادر المنزل إلى عمله السري الحافل بالمخاطر.

وبعدما أعلن اعتزاله أصابتها راحة عميقة.. وخططت للعودة مع زوجها إلى بلدهما.. بعد أن ينتهي العام الدراسي لأطفالهما في المدارس الإنجليزية.

خطا سلمان وزوجته إلى مصعد البناية ليهبطا لأسفل.. ولمحت الزوجة زوجها يتحسس شيئا تحت سترة بذلته بحركة غريزية، فأدركت أنه يحمل معه سلاحه الشخصي.. وتساءلت في نفسها متوترة، ما الذي يجعل زوجها قلقا إلى هذا الحد تلك الليلة ؟.

وخطوا خارجين من البناية صوب سيارتهما الفاخرة.. وجلس الاثنان في المقدمة دون أن يتبادلا كلمة واحدة

وكل منهما غارق في أفكاره الخاصة.

وأخرج سلمان مفتاح سيارته من جيبه ووضعه في فتحة التشغيل وعيناه تراقبان ما حوله بنظرة صارمة حذرة.. دون أن يلمح الوجه الأسود وصاحبه المفتول العضلات الذي وقف يراقب السيارة من خلف زجاج نافذة إحدى شقق البنانية المجاورة.

وما كادت أصابع سلمان تدير مفتاح المحرك، حتى دوى انفجار هائل، وتحولت السيارة إلى كتلة من الجحيم المشتعل.

* * *

تقلب فتحي العسال فوق فراشه..

جافاه النوم طوال الليل وظل مسهدا لا يكاد يصدق الخطاب الذي تسلمه بعد ذلك الاستدعاء العاجل من السفارة المصرية.

كان خطابا بأنه قد أحيل إلى المعاش من عمله في إدارة المخابرات العامة بسبب هبوط معدل أدائه في الفترة

الأخيرة.. وأن له مطلق الحرية في البقاء والعمل في شركة الطيران المصرية التي كان يتخذها كغطاء لعمله الحقيقي في لندن.. أو أن يخلو إلى الراحة متمتعاً بالمعاش الكبير ومكافأة نهاية الخدمة الضخمة.

لم يكن الاستغناء مفاجئا لفتحي.. ولكنه لم يتوقع أبدا أن يأتي على تلك السرعة وبهذه الطريقة، دون أن يقابله شخص ما ويستمع إليه.

كان يعشق مهنة الخطر.. ويكاد لا يعترف أن التقدم في السن كان يأخذ منه كثيرا من مهاراته.. وحتى دقته في التصويب نقصت إلى النصف في الأشهر الأخيرة.

وانتصب في فراشه بوجه مقطب حزين.. وراقب ضوء الصباح المتسلل من بين الستائر الكثيفة المسدلة على النافذة العريضة في حجرته.

وحتى تلك اللحظة لم يكن قد اتخذ قرارا.. بالبقاء في لندن أو مغادرتها.. أو البحث عن عمل آخر.

ثم تذكر شيئاً فنهض سريعا.. واتجه إلى حجرة طفله الذي كان غارقا في نومه فوق فراشه الصغير. وأيقظه برفق

وهو يقول له : هيا يا عزيزي.. ستتأخر عن المدرسة.

لم يشأ فتحي أن يتزوج بعد وفاة والدة طفله.. ولعله بداخله كان يتمنى الإحالة إلى المعاش ليستطيع العناية به.

ولعلهم هناك في القاهرة اتخذوا هذا القرار.. رحمة بصغيره الذي ما كانت المربية الإنجليزية قادرة على رعايته على الوجه الأكمل.

أنهى الطفل ارتداء ملابسة، وقال له والده باسما : سوف أصحبك إلى المدرسة بنفسي منذ اليوم.

فتعلق الطفل برقبة والده في سعادة كشفت عن شدة تعلقه به.

وفجأة انفتح باب الشقة في عنف.. وظهر في مدخلها ثلاثة رجال.. أحدهم كان له وجه أحمر تخفيه نظارة سوداء عريضة وقبعة عالية ومعطف ثقيل والثاني كان عملاقا أسود اللون مفتول العضلات في ملابس رياضية خفيفة.. والثالث كانت له ملامح الصينين ونظرات حادة.

حدق فتحي في الرجال الثلاثة في دهشة، وقد عمل

ذهنه في سرعة خاطفة لتفسير ما يحدث أمامه، وغمغم من بين أسنانه في غضب حاد قائلا : من أنتم.. وكيف تقتحمون مسكني بمثل هذه الطريقة.

ومن أين حصلتم على مفتاح لشقتي ؟.

فأجابه ذو الوجه الأحمر قائلا : ليس لدينا غير إجابة وحيدة لأسئلتك.

وصوب مسدسه تجاه فتحي مضيفاً : وهذه هي الإجابة.

وانطلقت الرصاصة المكتومة، ولكن وفي نفس اللحظة دفع فتحي بطفله الذي سقط أسفل فراشه الصغير، وتدحرج فتحي مبتعداً في سرعة واحتراف، فطاشت الرصاصة واستقرت في الحائط إلى الخلف، وطارت قدم فتحي لتطيح بالمسدس من يد صاحبه.

ولكن قبضة الأسود العملاق هوت فوق وجه فتحي في لكمة عنيفة أطاحت به إلى الوراء.. وشعر بالدنيا تميد أمام عينيه.. وقفز الزنجي في الهواء مصوبا ضربة أخرى من قدمه أصابت فتحي في معدته وجعلته يشعر كأنها تمزقت. وأنه موشك على فقدان الوعي.. ولكن وقبل أن

يفقد ما تبقى له من وعي امتدت يده في حركة خاطفة إلى جيب سترته.. ولكن، وقبل أن يتمكن فتحي حتى من إخراج مسدسه الصغير طارت سكين رفيعة حادة النصل من يد الصيني فاستقرت في قلب فتحي..

وشهق فتحي وجحظت عيناه.. وارتعشت شفتاه كأنه يريد أن يقول شيئاً أخيرا ولكن الوقت لم يتسع له لينطق بشيء.. ثم تهاوى على الأرض غارقاً في دمائه..

وصرخ الطفل الصغير وزحف خارجاً من تحت فراشه، وألقى نفسه فوق والده باكيا وهو يحتضنه.

وانحنى ذو الوجه الأحمر على الأرض والتقط مسدسه الكاتم للصوت ثم صوبه إلى رأس الطفل الصغير..

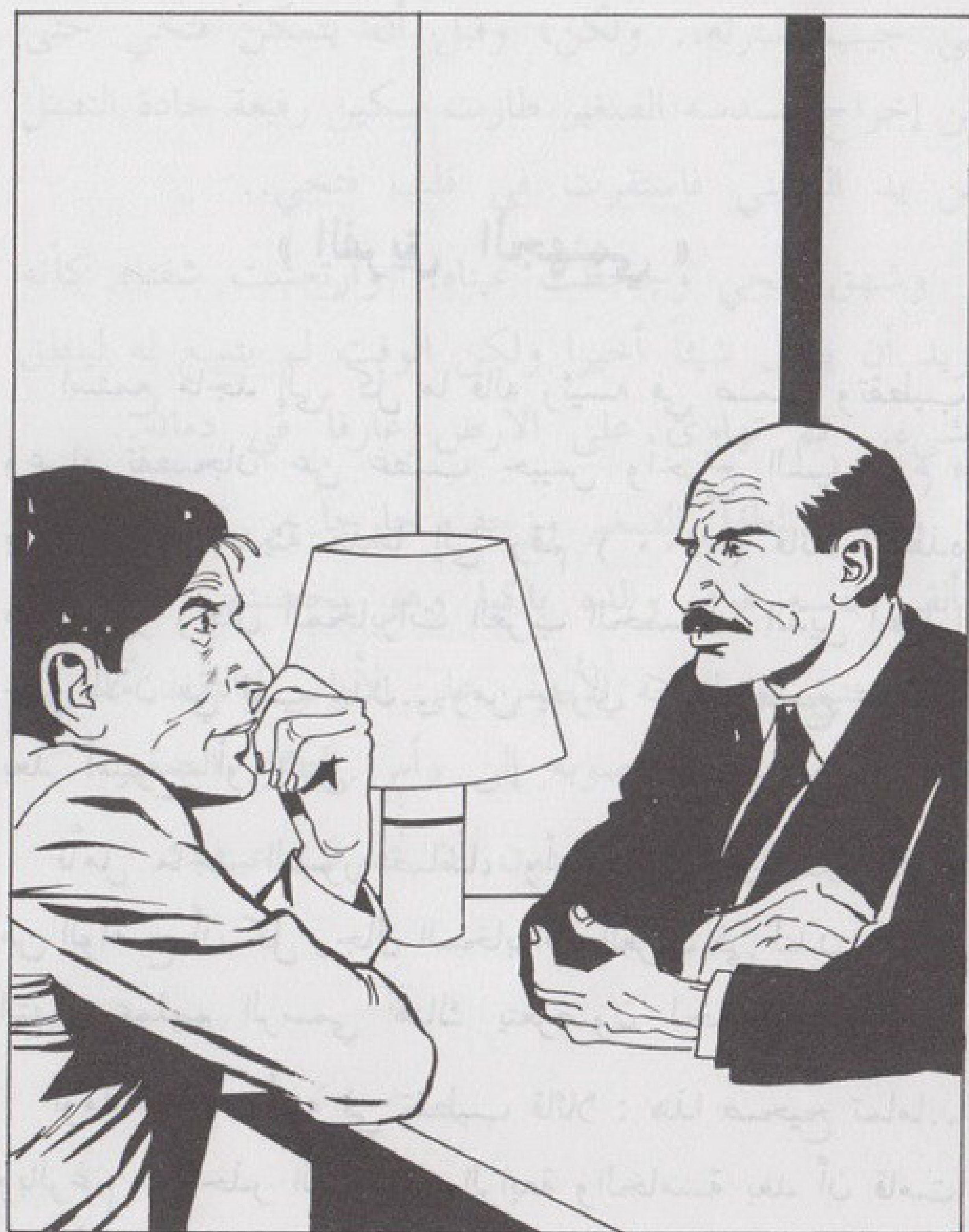
وأطلق طلقة واحدة دون أن تطرف عيناه !.

« الفريق الجهنمي »

استمع ماجد إلى كل ما قاله رئيسه في صمت وتقطيب وعيناه تفصحان عن غضب حبيس وأخرج السيد « م » بضع صور حديثة مدها إلى رقم (٧٠٠) قائلا : هذه هي صور رجال المخابرات العرب الخمسة.. الذين اغتيلوا حتى الآن في قلب لندن.. ومن يدري كم سيصبح عددهم بعد أسبوع أو اثنين.

تأمل ماجد الصور صامتا، وأعادها إلى رئيسه قائلا : من الواضح أن كل رجال المخابرات العرب في لندن والذين انتهى عملهم الرسمي هناك يتعرضون لحملة إبادة.

أومأ « م » برأسه في تقطيب قائلا : هذا صحيح تماما.. وبالرغم من حذر الضحيتين الرابعة والخامسة بعد أن قامت كل أجهزة المخابرات العربية بتحذير رجالها، الا أنه قد



وقعت حادثتا اغتيالهما وراح ضحية رجلان من أفضل رجال المخابرات العرب السابقين.. مع كل أفراد عائلتيهما..

اكتسى وجه ماجد بالغضب وقال: إنها عملية انتقامية دون شك.

« م »: هذا صحيح.. ومن الواضح أن من فعل ذلك يمارس خطة جهنمية لها عدة أهداف.. أولها التخلص من بعض أفضل رجال المخابرات العرب في الغرب، وثانيا إخافة كل المشتغلين في هذا المجال، حتى وأن لم يحالوا إلى المعاش بأن أوانهم قريب.. وثالثا دفع رجال الشرطة الإنجليزية إلى التحقيق في حوادث الاغتيال لتكتشف دون شك أن هؤلاء القتلى كانوا تابعين لأجهزة مخابرات عربية وأنهم نفذوا عمليات عديدة لصالح بلادهم، وهو ما يهدد بكشف هذه العمليات ونشاط المخابرات العربية بأكمله في أوربا، لأن لندن محطة رئيسية ومنها تتفرع كافة شبكات المخابرات العربية في الغرب.

ماجد: لقد قام هؤلاء القتلة بعملهم في ذكاء ومهارة.

« م »: دون شك.. ونحن لا يسعنا غير الاعتراف

بذلك.. ومن المؤكد لنا أن هناك جهاز مخابرات معاديا يقف خلف هذه العمليات وأنه يحرك الأمور من بعيد لكن لا يظهر في الصورة.

ماجد : إذن فهناك جهة أخرى تقوم بتنفيذ هذا العمل القذر ؟.

« م » : هذا صحيح تماما.. فهناك فريق من القتلة هو الذي كان بمثابة مخلب القط لهذه العمليات.. والذي لا شك فيه أنه يخطط للمزيد من حوادث الاغتيال ما لم نتدخل في الحال ونوقف هذه الاغتيالات.

وأضاف « م » وهو يمد رأسه للأمام كأنه يدلي بسر : إن هذا الفريق المكلف بعمليات القتل يسمونه « الفريق الجهنمي » !.

راقب ماجد رئيسه في صمت وإنصات دون أن تختلج عضلة واحدة في وجهه.. وواصل « م » قائلاً : إنه فريق من المرتزقة ممن تم جمعهم من كل شتات العالم.. فبعضهم كان يحارب في أفغانستان إلى جوار قوات الاتحاد السوفياتي وبعضهم الآخر حارب في تشاد أو في الفيليبين لصالح بعض

الجهات المتصارعة هناك.. وبعد أن انتهت كل هذه الحروب صار هؤلاء المرتزقة بلا عمل.. فجاء رجل وسيط وقام بلم شمل ما يزيد عن خمسين فردا من هؤلاء المرتزقة وصنع منهم هذا الفريق الجهنمي الذي يدين بالولاء الكامل لرئيسه وعلى استعداد لتنفيذ كل أوامره مهما كانت.

تساءل ماجد مقطبا : وهذا الرئيس.. من يكون ؟.

زفر « م » كأنه يطلق عبئاً عن أنفاسه مجيبا : إنه الكولونيل السابق.. « سيرجي فيزافيتش ».

ماجد : هل هو رجل مخابرات روسي ؟.

« م » : كان هذا قبل انقسام الاتحاد السوفياتي.. وكان سيرجي من أسوأ رجال مخابراته وأكثرهم دموية في تاريخه، وبعد الانقسام تمت محاكمة هذا الرجل على ارتكابه للعديد من جرائم القتل ضد مواطنيه فكان أن قتل حارسه وهرب إلى أوروبا متنكراً في هيئة جديدة وأسم مختلف.. وافتتح مع رجاله من المرتزقة شركة وهمية للتصدير والاستيراد في « لندن ».. والقليلون هم الذين يدركون حقيقته وسر عمله.. ولكن هذا الرجل من المهارة هو ورجاله بحيث

إنهم لم يتركوا خلفهم أي دليل.. كما أن أغلبهم قاموا بعمليات تجميل تخفى ملامحهم الحقيقية ومنهم « سيرجي ».. وبذلك سيصعب التعرف عليهم أو إثبات شخصياتهم الحقيقية.

ماجد : إنّ هذا الكولونيل الروسي يمتلك عقلا جهنميا بالفعل.

أضاف « م » في حدة : ولسوف ننسف هذا العقل قريبا.. انتقاما لكل ضحايا هذا المجرم.. والأبرياء من عائلاتهم الذين اغتيلوا غدرا.. وإنني اعتمد عليك في ذلك تماما يا رقم (٧٠٠).

ماجد : ثق بذلك يا سيدي.. ولكن من أين سأبدأ مهمتي في لندن ؟.

أجابه « م » في صوت عميق : سوف أخبرك بذلك حالا !.

* * *

تقع قلعة اللورد السفاح في أطراف لندن فوق ربوة عالية.. وسط غابة من الأشجار الكثيفة ومراع كبيرة..

ويرجع تاريخها إلى ثلاثة قرون ماضية.. والنظرة الأولى إليها تدل على مدى الجهد الذي بذل في إنشائها على مساحة تزيد على خمسة فدادين كأنها من قلاع العصور الوسطى.. والتي عمرت بالدهاليز والسراديب وأبراج الحراسة..

وكان قد بناها رجل ثري هو اللورد «كراوفورد» أراد أن يعتزل الناس جميعا لانهماكه في بعض تجاربه العلمية التي كان مولعا بها.. ولكن كلها فشلت مما أصاب اللورد بغضب عارم وجنون، كان من نصيب خدمه، فراح يقتلهم واحد وراء الآخر ويدفنهم في حدائق القلعة الكبيرة حتى كشفه خادم تمكن من الهرب في اللحظة الأخيرة.. وبعدها جاءت الشرطة لتكشف أن اللورد قد انتحر بقطع شرايين يده.. وأن حديقة القلعة تكتظ بالهياكل العظمية لضحاياه.

ومن وقتها خشى الناس مجرد الاقتراب من قلعة اللورد، وأطلقوا عليه اسم اللورد السفاح.. وقيل الكثير ونسجت الأساطير عن قلعة اللورد السفاح، وعن ضحاياه الذين تظهر أشباحهم في أفنية وأبراج القلعة.. وحتى ورثة اللورد السفاح

خشوا من الإقامة في القلعة وتركوها خرابا ينعق فوقها البوم.. دون أن يجرءوا على الاقتراب منها أو حتى هدمها.. وبالطبع فلم يكن هناك مشترٍ مجنون يمكنه أن يغامر بشراء مثل تلك القلعة بعشرات الملايين.. وهي تحفل بذلك الماضي المرْعب.

لذلك وعندما تقدم مشترٍ وحيد إلى أحفاد اللورد السفاح بعرض لشراء تلك القلعة بمبلغ بخس لا يزيد عن خمسة ملايين جنيه، وافق الورثة على الفور واعتبروها صفقة طيبة بالرغم من أن ثمن الأرض وحدها كان يزيد عن ضعف ذلك المبلغ. ولم يكن مشتري القلعة غير شخص وحيد.. الكولونيل « سيرجي فيزافيتش » !!.

راقب الكولونيل تدريبات رجاله من شرفة أحد أبراج القلعة.. وقد اشتبكوا مع بعضهم البعض في تدريبات عنيفة.. على حين راح البعض الآخر يتدربون على إطلاق الرصاص ورشق السكاكين.. وهز رأسه في رضى ثم التفت إلى مساعده ذي الوجه الأحمر والنظارة السوداء العريضة وقال له : لقد كانت فكرة شراء هذه القلعة رائعة يا أدولف.

هز المساعد رأسه قائلا : معك حق يا سيدي.. فموقعها بالقرب من قلب لندن يتيح لنا سرعة الحركة وتنفيذ مهماتنا في أقصر وقت، ثم العودة إليها والإختفاء عن الأنظار.. كما أنها تتيح لرجالنا التدريب في حرية وعلى مساحة واسعة دون أن يخشى عيون الفضوليين أو رجال الشرطة.. فالجميع يخشون الاقتراب من هذه القلعة بسبب سمعتها السيئة وقصص الأشباح التي تحيط بها.

قهقه الكولونيل في سخرية قائلا : أي أشباح هؤلاء الأغبياء.. فنحن لم نجد غير بعض الخفافيش والفئران الكبيرة التي كانت تعشش في هذا المكان.. وتكفلت رصاصاتنا بها تماما.

وقطب حاجبيه متسائلا : هل أنتم مستعدون لمهمة الليلة ؟.

أجابه أدولف : نعم يا سيدي، وقد حددنا الموقع والتوقيت بدقة.. فمهمتنا لم تعد تحتمل أي خطأ ولو بسيطاً بعد أن تنبه العرب إلى حقيقة ما يحدث لرجال مخابراتهم السابقين وزودوهم بالأسلحة والحراسة الضخمة ليل نهار.

وبصق في الأرض وقد التمعت عيناه بسخرية قاسية وهو يضيف : ولكننا قبلنا التحدي، ومن أجل ذلك سنؤدي مهمة مزدوجة الليلة.. فنقتل اثنين وليس شخصاً واحداً، فقد درسنا الأماكن والأشخاص جيدا وعرفنا كل الثغرات ونقاط ضعفها.

تألقت عينا الكولونيل سيرجي وهو يقول : رائع.. والشرطة الإنجليزية ؟.

أدولف : لقد بدأوا في إعداد ملف ضخم عن رجال المخابرات القتلى، وقد بدأت تتكشف لهم أسرار كثيرة عن عمل هؤلاء الرجال السابق ومهماتهم.. وعما قريب سوف ينكشف كل النشاط السري العربي في أوروبا بأكملها ويتوقف نشاطهم بالتالي.. ولن يتمكن شخص ما من الوصول إلينا أبداً فليس هناك ما يشير إلينا ولو بأدنى إشارة.

هتف سيرجي في سعادة : رائع.. رائع.. فهذا هو ما نرغب فيه تماما.

وتألقت عيناه أكثر وهو يضيف : ولسوف يسعد أصدقاؤنا بتحقيق أهدافهم لتخلو لهم الساحة الأوروبية تماما

فيفعل رجال مخابراتهم فيها ما يريدون بعيدا عن أي وجود عربي مماثل.. ولا شك أنهم يقدرون دورنا جيدا وسيواصلون الدفع في سخاء.

وأخرج من جيبه سيجارا أسرع أدولف بإشعاله مثل خادم مطيع، فنفث الكولونيل دخان سيجاره في الهواء وقد التمعت عيناه ببريق غريب.. وتمتم بعد لحظة في صوت خافت كأنه يحدث نفسه : إن ما فشلت في تحقيقه هناك في بلادي سأفعله هنا.. وستكون لي إمبراطوريتي الخاصة التي لن يجرؤ إنسان على انتزاعي منها مرة أخرى.

تساءل أدولف في دهشة : ماذا تقول يا سيدي ؟.

أشاح الكولونيل بيده قائلا : لا شيء.

وفجأة اندفع أحد الرجال في زيه العسكري وفي يده برقية، مدها إلى الكولونيل وهو يؤدي له التحية العسكرية قائلا : لقد تلقينا هذه البرقية تواً يا سيدي.

التقط الكولونيل البرقية وألقى عليها نظرة سريعة، ثم تجهم وجهه في غضب وحدة ورفع عينين مشتعلتين باللهيب وهو يقول : لقد علم أصدقاؤنا أن المصريين قرروا أن

يرسلوا لنا أفضل رجالهم ليقتصوا ممن قتل رجال مخابراتهم السابقين.. وأن هذا العميل المصري الذي يعتبرونه أسطورة لا تقهر في عالم المخابرات سوف يسعى إلينا مباشرة.

ضاقت عينا أدولف وراوده بعض القلق وقال : من الأفضل أن نسرع بالاتصال بأصدقائنا ليساعدونا في مواجهة هذا المصري والتخلص منه.

دق الكولونيل سيرجي حافة النافذة القريبة في غضب قائلا : لا.. إننا لا نستعين بأحد.. فهذه هي مهمتنا وسوف نقوم بها بأنفسنا.. فقد قمنا بما هو أصعب منها آلاف المرات.. وأنا شخصيا واجهت عشرات العملاء من هذا النوع ممن كانوا ينسجون الأساطير حولهم أيضا.. والآن لم يعد أحد يتذكر هؤلاء الأغبياء بعد أن أنهت رصاصاتي حياتهم.

تساءل أدولف بعد لحظة : وهل سننتظر وصول هذا العميل المصري إلينا ؟.

أجابه الكولونيل في لهجة ساخرة : لا.. أنا لا أحب أن أكون في موقف الدفاع أبداً.

وتألقت عيناه أكثر وهو يضيف : سوف نؤجل عمليتي الإغتيال هذا المساء إلى ما بعد إنهاء تلك المهمة الطارئة التي ظهرت فجأة. وما أن يصل هذا المصري إلى لندن.. حتى نفتح عليه جحيمنا !.

وأطلق ضحكة عالية صاخبة.. ضحكة سفاح مجنون.

* * *

جحيم لندن

واجه ركاب طائرة مصر للطيران مطرا غزيرا عندما غادروا مطار « هيثرو » بالعاصمة البريطانية.. وعلى الفور نشطت حركة سائقي التاكسي في المطار.. وكان في انتظار الباقين سيارات خاصة.

ووقف ماجد يتأمل المطر الغزير المنهمر أمامه، ممسكاً مظلة واقية وبيده الأخرى أمسك حقيبته الصغيرة الوحيدة، فاقترب منه أحد السائقين قائلاً : هل تبحث عن تاكسي يا سيدي ؟.

ولكن ماجد أجابه بابتسامة عريضة : يا عزيزي.. إنك لا يمكن أن تحرمني من متعتي الوحيدة في هذه البلاد.

وأضاف بابتسامة أوسع : إنها السير تحت ماء المطر.

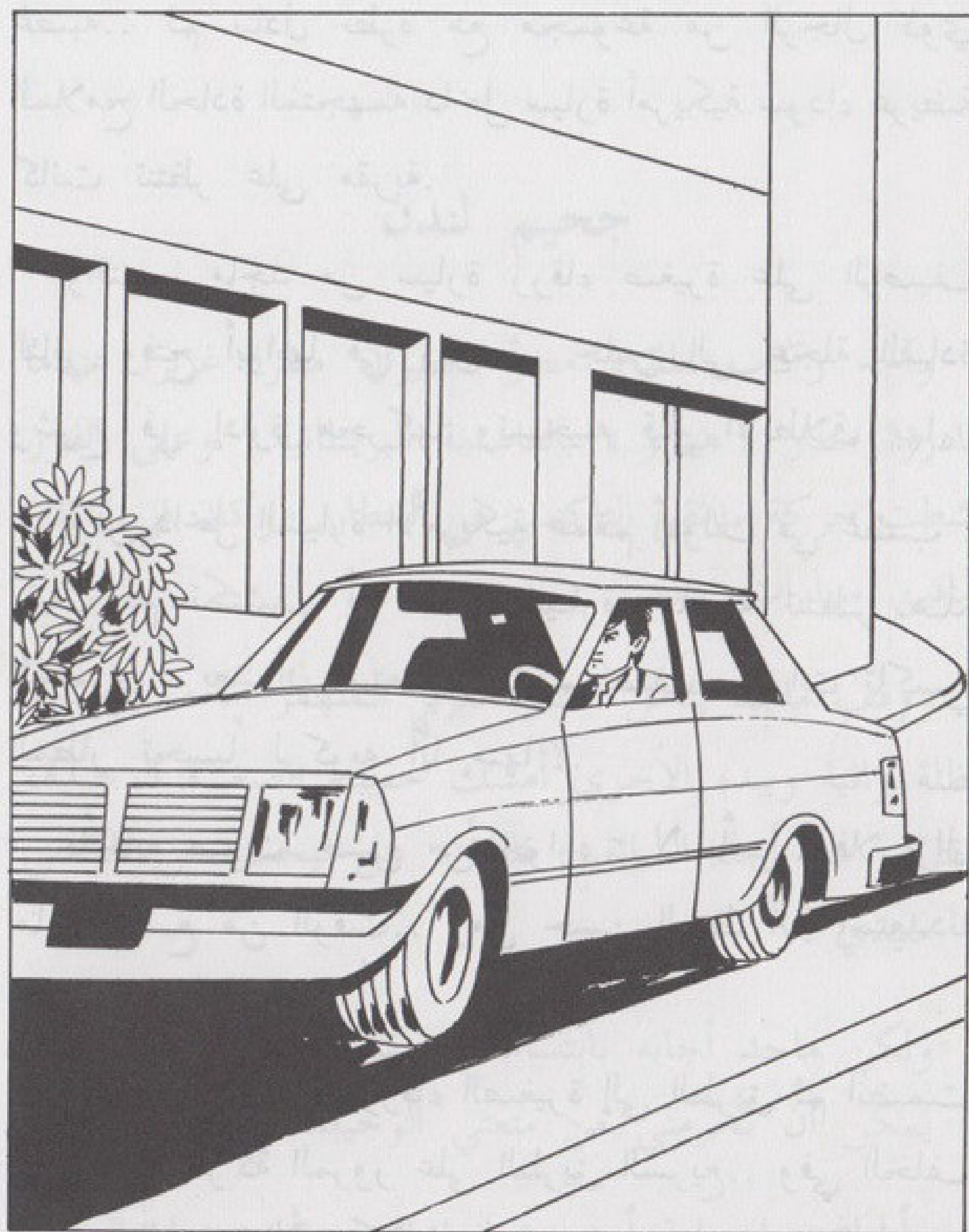
وتحرك ماجد حاملا مظلته والسائق يحدق فيه كاتما غضبه.. ثم تبادل نظرة مع مجموعة من الرجال ذوي الملامح الحادة المتجهمة داخل سيارة أمريكية سوداء عريضة كانت تنتظر على مقربة.

واقترب ماجد من سيارة زرقاء صغيرة على الرصيف الثاني وفتح أبوابها في رفق ثم جلس إلى عجلة القيادة وشرع في إدارة محركها وتسخينه قبل الانطلاق بها.

ومن داخل السيارة الأمريكية غمغم أدولف في غضب : كيف لم نكتشف أن هناك سيارة خاصة تنتظر هذا المصري.. بعد أن استعددنا بتلغيم نصف سيارات تاكسي المطار تحسباً لركوبه أيًّا منها ؟.

فأجابه صوت خشن من جواره : لا بأس.. فلا يزال أمامنا متسع من الوقت.. ومن حسن الحظ أننا استعددنا باحتياطات كثيرة.

تحركت السيارة الزرقاء الصغيرة إلى الطريق ثم انضمت إلى بقية حركة المرور على الطريق السريع.. وفي الخلف شرعت السيارة الأمريكية في متابعتها.. وعلى مسافة ظهرت



سيارة أخرى من نفس الطراز انضمت إلى زميلتها الأولى على مسافة منها وبداخلها عدد آخر من أصحاب الوجوه القاسية المتجهمة والأسلحة المخفاة تحت ستراتهم.

ألقى ماجد نظرة في مرآة سيارته الصغيرة.. كان من السهل عليه ملاحظة السيارة المطاردة له والسيارة الأخرى التي انضمت إليها.

وقد كان ينتظر مثل ذلك الاستقبال.. وقد استعد له تمام الاستعداد. فأرتسمت ابتسامة قاسية فوق شفتيه وهو يقول: لسوف تبدأ حفلة الألعاب قريبا.. أقرب مما يظن هؤلاء الأوغاد.

وزاد المطر فخلت الطرقات من السيارات أو كادت.. وقد صار المطر كالسيل.. وزمجر «أدولف» من تحت أسنانه قائلاً: لقد حان الوقت لإنهاء تلك المطاردة.

وفي الحال زمجرت سيارته وقد أطلق سائقها العنان لها، فاندفعت فوق الطريق المبتل مثل وحش مفترس خرج من الظلام.. واقتربت من السيارة الزرقاء الصغيرة بسرعة..

وعندما صارت على المسافة المناسبة زمجر أدولف مرة أخرى : الآن.

وفي الحال أبرز ركاب المقعد مدافعهم الرشاشة من تحت أقدامهم وصوبوها خارج نوافذهم..

ودوت أصوات طلقات الرصاص مثل رخات المطر.. وأصابت بضع رصاصات سقف السيارة الصغيرة في الأمام والتي ارتجت ربما بفعل المفاجأة، قبل أن تندفع في طريق ملتوٍ برغم المطر، وقائدها يتحكم فيها بمهارة غريبة..

وطاشت بقية طلقات الرصاص والسيارة الصغيرة تتحرك في شكل بهلواني عجيب، وهتف أدولف في غضب وسخط : هذا الثعلب كيف يتحكم في تلك السيارة بهذه الطريقة العجيبة ؟.

ثم صاح في رجاله : أطلقوا الرصاص على إطاراتها أو خزان الوقود لنسفها.

ولكن بعد رخة سريعة من الرصاص زمجر أحد المسلحين في الخلف قائلاً : إنها مصفحة فالرصاص لا يؤثر فيها.

ضاقت عينا أدولف وقال : إنها مفاجأة.. إذن فقد كان هذا الثعلب المصري يتوقع مطاردتنا له واستعد لها.

زمجر في رجاله : فلنستعد للانقضاض عليه وحصاره فلا نترك له سبيلاً للهرب.

فاندفعت السيارة العريضة بكل سرعتها محاولة قطع الطريق على سيارة ماجد.. وربما لأجل ذلك لم يلاحظ أحد ركاب السيارة الأمريكية الزيت المتسرب من السيارة الصغيرة إلى أرض الطريق.. وصرخ قائد السيارة السوداء : إنني لا أكاد أستطيع التحكم في السيارة.. فالطريق مغطى بالزيت.

غمغم أدولف في ذهول : زيت.. من أين جاء ؟.

وقبل أن يأتيه رد ما لمح أدولف سائق السيارة الصغيرة وهو يلقي بكرة من اللهب فوق الزيت الذي غمر الطريق.

وصرخ أدولف في سائق سيارته : أسرع بإيقاف السيارة أو إبعادها عن الطريق.

ولكن السائق لم يتح له أن يفعل شيئا، فقد اندفع الزيت

المشتعل صوبه وأحاط بالسيارة.. وصرخ من فيها مع احتكاك الفرامل القوية..

ثم دوى انفجار هائل وتحولت السيارة إلى شظايا.

شخص وحيد نجا من انفجار السيارة.. كان « أدولف » الذي ألقى بنفسه خارجها في اللحظة الأخيرة.. وشاهد بقية رفاقه وقد أطاح بهم الانفجار بعيداً دون حراك.

وغمغم في غضب وجنون: إن هذا الشيطان أبرع مما ظننا.. وأكثر استعدادا.

وأشار للسيارة الأخرى فتوقفت قريباً منه.. وكاد يندفع منها بعض ركابها لمساعدة زملائهم داخل السيارة الأولى ولكن أدولف أوقفهم قائلاً : لا فائدة فقد احترقوا جميعا ولن يعيشوا طويلاً.. هيا بنا قبل أن يسرع ذلك المصري بالفرار.

فانطلقت السيارة العريضة تزأر فوق الطريق.. والتقط أدولف جهاز لاسلكي من جواره وغمغم إلى شخص ما قائلا : إننا نتجه إلى الهدف الثاني.. فاستعد للظهور في قلب النفق خلال خمس دقائق على الأكثر.. والسيارة

المقصودة صغيرة من طراز فيات ولونها أزرق.

وأغلق أدولف جهاز اللاسلكي، وراقب الطريق بعينيه.

وظهر إلى مسافة أحد الأنفاق في قلب لندن وقد اندفعت السيارة تعبره بكل سرعتها.. وفجأة ظهرت شاحنة ضخمة تسير في الاتجاه العكس بكل سرعتها.

وصرخ قادة صف السيارات الطويل في هلع والشاحنة الضخمة تنقض عليهم وتقطع الطريق، محطمة كل ما يصادفها من سيارات لتطيح به جانبا كأنها علب صغيرة.

وأدرك ماجد على الفور أن الشاحنة الضخمة لا تقصد غيره.. وشاهدها وهي تنقض عليه مثل قطار أصابه الجنون.. وإطاراتها لو مسته لهشمت سيارته مثل العجين.

وتحرك ماجد بسيارته وقد أتاح له هرب صف السيارات أمامه القدرة على المناورة..

وكانت نجاته تتطلب قدرا كبيراً من المهارة.. فأطلق لسيارته العنان وقد وقف البعض لمشاهدة ذلك المجنون الذي يوشك أن يلقى حتفه في إصرار بدلا من أن يبادر بالفرار.

ولكن أصبع ماجد كانت فوق زناد مسدسه.. وعندما اقتربت الشاحنة من المدى المؤثر أطلق رصاصة واحدة أصابت سائق الشاحنة في كتفه، فاختلت عجلة القيادة في يده لحظة كانت كافية لكي تندفع الشاحنة إلى جسم النفق الخرساني وتصطدم به، فتهشمت مقدمتها وتدحرجت الشاحنة الصخمة منقلبة على نفسها قبل أن يشتعل خزان وقودها.

وصرخ البعض من ركاب السيارات الأخرى وانطلقوا هاربين تاركين سياراتهم في أماكنها دون حراك. على حين اقتربت السيارة السوداء العريضة من الخلف، وشاهد ركابها ما حدث للشاحنة الضخمة فغمغم أدولف في ذهول : يا إلهي.. لقد فعلها ذلك الشيطان ثانية.

وصرخ في رجاله : أسرعوا بالقبض عليه داخل سيارته.

وكانت السيارة الزرقاء الصغيرة واقفة فيما يشبه الفخ وقد سدت أمامها طرق الهرب..

فمن الأمام كانت هناك الشاحنة المنقلبة المحترقة التي سدت طريق النفق، ومن الخلف كان هناك صف سيارات

عريض يغلق عليها طريق الفرار.

واندفع من داخل السيارة العريضة أربعة من المسلحين مهرولين نحو السيارة الصغيرة وما أن توقفوا أمام نوافذها، اثنان في كل جانب، حتى شرعوا في إطلاق عشرات الرصاصات من مدافعهم الرشاشة إلى قلب السيارة.. ودخان السيارة المحترقة يكاد يعمي الأبصار حولهم.

وعندما توقفوا عن إطلاق الرصاص أخيرا أطل أحدهم داخل السيارة، ثم هتف غير مصدق: لا يوجد أحد بالداخل.. أين ذهب هذا الشيطان ؟.

وجاءهم صوت من الخلف متسائلا في لهجة قاسية: هل تبحثون عني أيها الأوغاد ؟.

واستدار الملسحون الأربعة في وقت واحد.. ولكن وفي نفس اللحظة بدا وكأن صاعقة قد انقضت عليهم.. فقد طارت قبضة ماجد لتصيب أولهم في أنفه وتهشمه وتلقيه فوق السيارة الصغيرة، على حين أطارت قدم ماجد صف أسنان الثاني وشقت شفتيه وأطاحت به بعيداً.. وقبل أن تمتد أصابع المسلحين الثالث والرابع إلى زنادي مدفعيهما

الرشاشين، أمسكت يدا ماجد برأسيهما ثم خبطتهما بعضهما ببعض، فتهاوى الاثنان على الأرض دون حراك.

راقب أدولف ما جرى لرجاله الأربعة فأصابه ذهول عام. وأفاق بعد لحظة صارخا في بقية رجاله : أسرعوا بقتل هذا الشيطان قبل أن يهرب.

فاندفع أربعة رجال آخرون صوب ماجد شاهرين أسلحتهم..

وبدا ماجد وحيدا بلا سلاح.. خلفه الشاحنة المحترقة وأمامه أربعة فوهات مصوبة إليه.. وتراجع ماجد إلى الوراء خطوتين..

وصرخ أحد المسلحين : إنك لن تستطيع الهرب أبدا..

وضغط فوق زناد مدفعه الرشاش..

ولكن حركة ماجد كانت أسبق.. فبحركة بهلوانية وبفضل السوست القوية في حذائه قفز إلى الخلف كما لو كان يطير في الهواء، إلى مسافة لا تقل عن عشرة أمتار، ليتجاوز الجحيم المشتعل خلفه، ويسقط خلف

النيران، ثم اندفع جاريا وأعداؤه يراقبون ما فعله بعيون واسعة عن آخرها..

وأفاقوا على صرخة أدولف وهو ينعتهم بالأغبياء ويطلب منهم مواصلة مطاردة ماجد والقبض عليه بأي ثمن.. ولكن عندما اندفعوا نحو النيران محاولين اجتيازها ليواصلوا مطاردتهم لماجد، دفعهم لفح النيران للتراجع إلى الوراء رغما عنهم وهم يمدون أيديهم ليحجموا بها عيونهم.. فاقتربوا من سيارة ماجد ووقفوا يستندون عليها.

وفي نفس اللحظة التالية دوى انفجار آخر..

وتحولت السيارة الزرقاء الصغيرة إلى كتلة من اللهب.. بعد أن انفجرت بفعل قنبلة موقوتة بداخلها، فألقت بالمسلحين الأربعة على الأرض مصابين بشدة، وعاجزين حتى عن الحركة !.

خبط أدولف مقعد سيارته في غضب وحشي، وصرخ في سائق السيارة : أسرع بمطاردة هذا الشيطان عبر الاتجاه العكس.

فزأرت السيارة الأمريكية السوداء واندفعت عن الطريق

إلى الطريق المضاد، مطلقة أنوارها الأمامية القوية وبوقها العالي، فأفسحت لها كل السيارات القادمة في الاتجاه العكسي الطريق، فانطلقت السيارة السوداء بأقصى سرعتها تعبر النفق، قبل أن تتجه إلى طريقها الأول.

وعلى مسافة قريبة شاهد أدولف ماجد وهو يعدو بكل سرعته مقتربا من ساعة بج بن، فصوب إليه مدفعه الرشاش من داخل سيارته مطلقا سيلا من الرصاص..

ولكن ماجد تدحرج على الطريق مبتعدا عن الرصاص، وألقى بنفسه داخل سيارة حمراء كان محركها دائرا بعد أن تركها صاحبها للحظات ليشتري شيئا ما..

وانطلق ماجد بالسيارة بأقصى سرعتها مجتازا بها طرف الساحة الواسعة خارجا منها.. وأطلق أدولف دفعة رصاص من مدفعه الرشاش صوب السيارة التي استقلها ماجد، ولكن كان قد تحرك بها فطاشت الرصاصات.

وغمغم أدولف لنفسه : إنه في حاجة إلى شيء آخر غير الرصاص.

والتقط من حقيبة كبيرة بجواره ماسورة من الصلب..



وكانت أجزاء أخرى من الصلب قد شرع أدولف في تركيبها وعيناه لا تفارقان السيارة الحمراء وراكبها.

واقتربت المطاردة من كوبرى لندن وقد تحول المطر إلى نهر ينهمر من السماء.. وشرعت سيارة ماجد في عبور الكوبرى العتيق.. وأشار أدولف لسائقه أن يهدئ من سرعته، فأطاعه السائق حتى توقفت السيارة في مدخل الكوبري.. وتحسس أدولف مدفعه الصاروخي الذي اكتمل بين يديه.

وصوب أدولف مدفعه الصاروخي بدقة وقد استقرت طلقة صاروخية في مقدمته.. ثم ضغط الزناد.

وقبل أن تمر نصف ثانية أصابت القذيفة هدفها.. فانفجرت السيارة الحمراء مثل كرة من النيران تناثرت في كل مكان، تاركة بعد لحظات هيكل السيارة من الصلب المحترق.

راقب أدولف المشهد أمامه.. واقترب على قدميه تحت الأمطار وتوقف لحظة أمام حطام الصلب المحترق للسيارة المنفجرة.. ثم هز رأسه في رضى وابتسامة واسعة تملأ وجهه..

لقد أنهى مهمته أخيرا على خير وجه، بالرغم من كل الخسائر !!.

* * *

ارتعدت شفتا الكولونيل سيرجي في غضب حاد، واستدار صوب أدولف وحاجباه الكثيفان قد تعقدا في مشهد مخيف، وهتف في صوت هادر : ماذا قلت أيها الأحمق.. هل تسبب هذا العميل المصري وحده في قتل وإصابة ثلث رجالنا ؟.

زم أدولف شفتيه في قسوة قائلا : أنت لم تر أي رجل قد صارعناه يا سيدي الكولونيل.. إنه أشبه بشيطان لم أصادف مثيلا له أبدا.. إنه قادر ليس على قتال وخداع عشرات الرجال فقط، بل يمكنه أيضا أن يحارب فرقة كاملة وحده ويخرج منتصرا.

استدار إليه سيرجي في غضب قائلا : ليس هناك رجل بمثل هذه المواصفات.

أدولف : أؤكد لك يا سيدي أنه..

قاطعه الكولونيل سيرجي في صوت أجوف: لو كان ما تقوله عن هذا العميل المصري صحيحا.. لما أمكنك التخلص منه في النهاية ولو أطلقت عليه صواريخ الجحيم.

قال أدولف في ثقة : ولكنني تخلصت منه في النهاية يا سيدي وأرسلته إلى الجحيم ذاته.

وأضاف بعد لحظة : وخسارتنا لبعض رجالنا يمكن تعويضها بسهولة بعد وقت.. وأعتقد أن ما حدث ومطاردتنا لهذا العميل المصري والحرائق التي اشتعلت بسبب ذلك وسقوط العديد من الضحايا سوف يشعر الشرطة الإنجليزية بأن حرب مخابرات تدور في لندن بين أجهزة المخابرات العربية وجهة مجهولة.. وهو ما سيدعم تحرياتهم وشكوكهم مما سينعكس في أثر سلبي على نشاط المخابرات العربية في لندن وأوروبا بأكملها.

مط الكولونيل سيرجي شفتيه قائلا : لعلك على حق في ذلك.. فقد خدم مجيء هذا العميل المصري أهدافنا دون أن يدري.

وأضاف في لهجة شيطانية : والآن عليك تجهيز رجالك

ليقوموا بعملهم المؤجل.. غدا صباحا، فقد أضعنا وقتا ثمينا قبل أن نصيد هذا الثعلب المصري.

* * *

دوت صفارات سيارات الشرطة والمطافئ وهي تندفع بسرعة إلى منتصف كوبرى «لندن».. وتجمع الناس على حافة نهر «التايمز» ينظرون إلى السيارة المحترقة في قلب الكوبرى.. والتي لم تفلح المياه الغزيرة في إخمادها بسبب كثافتها.

ومن ركن هادئ بشاطئ النهر أطلت رأس من قلب الماء.. وتطلع صاحبها في كل اتجاه فأطمأن الى عدم وجود أحد في الجوار.. وصوب نظرة أخيرة تجاه بقايا السيارة المحترقة فوق الكوبرى ثم هز رأسه في رضا.

وسبح نحو الشاطئ وغادره إلى الطريق وهو غارق في الماء.. ثم أشار إلى تاكسي قريب اندس بداخله وهو يملي على السائق العنوان.. وبعد دقائق قليلة كان يطرق باب إحدى الشقق الخاصة في قلب لندن.

وفتح الباب.. وعانقه صاحب الشقة القصير الممتلئ ذو

الكرش الكبير هاتفا : كيف حالك يا رقم (٧٠٠) ؟.

أجابه ماجد باسما : إنني لا أزال حيا كما ترى يا ماهر.

وراح ماجد يتأمل رقم (١١٣) باسما وقد تذكر آخر مهمة لهما اشتركا فيها معا.. كان (١١٣) أقل بدانة وأكثر نشاطا.. وربما لولا ذلك ما استطاع إنقاذ حياة ماجد عندما غامر بحياته ليلقي بنفسه وسط مستودع قنابل متفجرة لإنقاذ ماجد الفاقد الوعي داخل المستودع.. وبعدها صارت بين الاثنين صداقة روحية عميقة.

وتنهد ماجد وهو يتأمل (١١٣) قائلا : لقد كانت أياما لا تنسى فكيف حالك أنت ؟.

بان قليل من الحزن على وجه ماهر وقال : كما ترى.. إنني أسمن مثل عجل سيساق للذبح، وربما لأجل ذلك صار كل ما يعهدون به إلي هو المزيد من العمليات الإدارية وتقديم المساعدات لبعض عملائنا في لندن ولا شيء أكثر..

وتألقت عيناه وهو يضيف : ولعل مجيئك، الى لندن يبعث بعض النشاط في عروقي.

ربت ماجد على كتف (١١٣) قائلا : لو كان هناك

دور لك يا عزيزي فلن أتوانى في منحه لك.. ولكن مع ذلك الكرش الضخم فأظن أن دورك في أي مهمة سيكون ذبحك فقط.

انفجر (١١٣) ضاحكا وهو يقول : إنك لا تزال تحتفظ بروحك المعنوية العالية يا رقم (٧٠٠).

وراح يتحسس ماجد في قلق، فسأله ضاحكا : هل ظننتني شبحا وتريد التأكد من أنني لا أزال حيا حقيقة.

قطب ماهر حاجبيه في قلق قائلا : بل أردت التأكد من أنك تخلو من أي إصابة.

وأضاف في تساؤل ودهشة : إنني لا أكاد أصدق أنك خرجت من ذلك الصراع سليما معافى لا خدش بك.

ماجد : يا عزيزي لقد تعودت على ذلك حتى بدأت أمل هذا العمل، وأنا الآن أفكر في الاستقالة والبحث عن عمل آخر أكثر إثارة !.

قهقه ماهر قائلا : يا لك من رجل يا رقم (٧٠٠) !.

وجلس وهو يتساءل : أخبرني عما حدث الليلة.

فجلس ماجد أمام المدفأة وهو يفرك يديه، وشرع يقص على رقم (١١٣) كل ما صادفه تلك الليلة، واختتم حديثه قائلا : وعندما شاهدت في مرآة السيارة التي استوليت عليها ذلك الثعلب أدولف وهو يوقف سيارته في مدخل الكوبرى أيقنت من الوسيلة التي سيستخدمها للتخلص مني، فقفزت من السيارة أثناء اندفاعها، وألقيت بنفسي في قلب النهر، وفي اللحظة التالية سمعت صوت انفجار الصاروخ الذي أطلقه أدولف بعد إصابته للسيارة واحتراقها.

وعقد حاجبيه مضيفا : إنني أرجو منكم البحث عن صاحب تلك السيارة المنكوبة وإرسال شيك بثمنها مع كلمة شكر.. فقد أنقذتني سيارته من مأزق.

ابتسم ماهر قائلا : إنك لا تنسى شيئا.. ولكن عملا مثل هذا سيثير بعض التساؤلات، ونحن قد صرنا في موضع شك ومراقبة من جهات عديدة في إنجلترا بعد تلك الحرب التي أشعلها الكولونيل سيرجي وفريقه الجهنمي ضدنا، فدعنا نقم بتعويض صاحب السيارة المحترقة بطريقتنا المناسبة كأن نجعله يفوز في سباق ما ويربح ثمن السيارة أو شيء آخر

مثل ذلك.. فالتعليمات لدينا من السيد « م » هي تنفيذ كل ما تطلب ومساعدتك بكل الطرق الممكنة، دون أن نخاطر بكشف مهمتك.

وأضاف بعد لحظة صمت قصيرة : إنني لم أكن أتوقع أن تكون الإصابات في جانب الأعداء فادحة إلى هذا الحد.. فأنت لست من أنصار الحلول الدموية وإزهاق الأرواح بتلك الطريقة.

تقلصت أصابع ماجد وأجاب غاضبا : لا تنسى أن هؤلاء الأوغاد قتلوا نساء وأطفالاً أبرياء بلا رحمة، ومن ثم فقد استحقوا العقاب بكل قسوة وبلا رحمة.

غمغم ماهر : أنت على حق.. فهم لا يستحقون أي رحمة.. فالعين بالعين والسن بالسن.

لم ينطق ماجد بشيء وشردت عيناه وهو يراقب ألسنة اللهب في المدفأة، وسأله رقم (١١٣) ما هي خطوتك القادمة ؟.

ماجد : سوف يستمر إشعال الصراع ضد الكولونيل سيرجي ورجاله حتى أنتهى منهم جميعا.

رقم (١١٣) : وما هي خطتك في ذلك.. هل ستنتظر إلى أن يحاولوا اغتيال أحد رجالنا المتقاعدين مرة أخرى فتتدخل في الصورة و...

قاطعه ماجد قائلا : إنني لن أنتظر خطوتهم القادمة للرد عليها، بل سأبادر بالهجوم فورا.

عقد ماهر حاجبيه في دهشة متسائلا : ماذا تعني بذلك ؟.

التمعت عينا ماجد بلهب أشد حرارة من لهيب المدفأة أمامه وأجاب : سوف أقتحم قلعة الكولونيل وأتحداه وسط رجاله.

هب رقم (١١٣) من مقعده واقفا كما لو كانت قد لدغته عقرب قائلا : ماذا قلت.. سيكون هذا نوعا من الجنون.. إنني لا أمتلك سلاحا يمكنني أن أساعدك به، ولا حتى مسدسي الشخصي فغير مسموح لي بإعارته لك.

أجابه ماجد في هدوء : لست في حاجة إلى أي سلاح فسأقتحم القلعة بيدي العاريتين، فقد أتيت إلى هذا المكان.. تحديا للجنون ذاته يا عزيزي !.

أراد رقم (١١٣) أن يقول شيئا ولكنه صمت على

مضض.. ومرت لحظة صمت ثم تساءل مقطبا : وكيف ستقتحم القلعة.. إن مكانها فوق ربوة مرتفعة بالإضافة إلى أبراجها العالية التي لا تسمح لأي متطفل بالاقتراب منها دون كشفه.. كما أن رجال الكولونيل المعينين لحراسة أسوار القلعة لن يمكن خداعهم بأي حال لمحاولة اختراق الأسوار فسيكتشفونها حتما.

فأجابه ماجد : ومن قال أنني سأقتحم القلعة من أسوارها ؟.

تساءل رقم (١١٣) في دهشة : وكيف ستدخلها إذن ؟.

فجاوبه ماجد بنظرة باسمة واثقة تحوي الكثير من الثقة.. والتحدي.

نظرة رجل يعرف كيف يقتحم الأخطار والمهام الصعبة.. مهما كانت.

قلب الخطر

صوب ماجد نظارته المقربة من فوق التل القريب تجاه أسوار القلعة الصخرية التي ترتفع لأعلى ما لا يقل عن عشرين مترا.. كان الوقت لا يزال مبكرا والسماء مكفهرة تغطيها سحب قاتمة ثقيلة.. وقد راحت تمطر رذاذا خفيفا منذ منتصف الليل، فانكمش حراس القلعة في أماكنهم من البرودة والمطر يحتمون تحت الأسقف.

كانت الظروف مثالية تماما.. وهز ماجد رأسه في رضا ثم ألقى نظرة إلى ساعة يده.. وعندما أشارت عقارب الساعة إلى السابعة تماما حلقت بأعلى طائرة صغيرة ذات محرك واحد وقد تدلى منها حبل طويل. وقد برز من كابينة قيادتها رأس رقم (١١٣) في ابتهاج.

وحومت الطائرة فوق التل، ولوح رقم (١١٣) إلى

ماجد من مكانه في مقعد القيادة، فجاوبه ماجد ثم تعلق بالحبل السميك وتحركت الطائرة صوب القلعة القريبة في مهارة. وزاد سقوط المطر في نفس اللحظة كأنما ليسهل لرقم (٧٠٠) مهمته.. وعندما ظهرت أسوار القلعة بأسفل على مسافة قريبة أوقف رقم (١١٣) محرك طائرته التي تهادت كطائر كبير بنفس لون السحاب القاتم الثقيل.. لكي لا يكشف عنها صوت محركها.. والرياح الباردة تحمل الطائرة الصغيرة في مشقة.

كان رقم (١١٣) أبرع من قاد الطائرات في المخابرات المصرية.. وكان بإمكانه التحليق في السماء بطائرة شراعية لساعات طويلة دون أن تكون هناك نسمة هواء واحدة تحمل طائرته لأعلى..

وابتسم رقم (١١٣) في مكانه داخل الطائرة وهو يتذكر قول ماجد له في الفجر المبكر : لولا كرشك الضخم يا عزيزي لفكرت في أن نطير بطائرة شراعية.. ولكني أخشى أنها لن تحتمل ثقل هذا الكرش العظيم القذر فتتهاوى به فوق أسوار القلعة تماما.

فانطلق رقم (١١٣) ضاحكا بشدة وهو يشعر بالنشاط يعود إلى عروقه.. وغمغم من داخل الطائرة : لقد عادت الأيام الجميلة المثيرة مرة أخرى يا رقم (٧٠٠).. ولكن المؤسف أنه ليس مسموحا لي بالمشاركة في أي قتال.. وأقصى ما أملكه في هذه الطائرات هو الطلقات الفشنك وقنابل الدخان !!.

واقترب ماجد من سور برج القلعة الغربي، وبقفزة بارعة صار فوق قمة البرج، على حين اتجهت الطائرة بعيدا عن القلعة وهي تجر خلفها الحبل الطويل، وعندما تأكد قائدها أنه صار في مأمن أعاد تشغيل محرك الطائرة ثم أسرع مبتعدا بعد أن انتهت مهمته عند ذلك الحد، وهو يتنهد في حزن وينظر إلى كرشه السَّمين في ألم !!.

ألقى ماجد نظرة فاحصة لأسفل.. كان من الواضح أن أحدا من الحراس لم يشعر بما جرى.. وحتى المرتزق المسلح المكلف بالمراقبة داخل البرج كان يغالب نومه وهو يتثاءب مقاوما إحساسا شديدا بالبرد.

وفجأة برز ماجد أمامه وهو يقول له : يا عزيزي. إنك

في حاجة إلى بعض النوم.. وسوف أساعدك على ذلك.

وكانت المساعدة التي قدمها ماجد للمرتزق هي ضربة بقدمه في معدة الرجل تقوس لها وهو يعاني من الألم الشديد.. ثم تكفلت ضربة من رأس ماجد فوق رأس المرتزق لتجعله يرتطم بالحائط، فتهاوى بجواره دون حراك ينعم بنوم عميق.. مؤلم!.

وسرعان ما كان ماجد يقيده وهو يقول له : أحلاما سعيدة أيها الوغد.

وتحرك في حذر هابطا سلم البرج إلى أسفل.. وانكشفت له بأسفل قاعة صخرية واسعة علقت فوق جدرانها دروع وسيوف وأغطية حديدية للرأس.. وفي نهايتها كان هناك اثنان من المرتزقة راحا يلعبان الورق. وهتف أحدهما في زميله وهو يرى الكارت الأخير : لقد خسرت.

فاندفع زميله نحوه في غضب صائحا : بل أنت الخاسر.. فقد كنت تغش.

وتماسك الاثنان وكل منهما يصيح في الآخر بأنه الخاسر.. ثم توقف الاثنان عن العراك بغتة عندما جاءهما

صوت من الخلف يقول : أؤكد لكما أنكما خسرتما معا !.

التفت المرتزقان في دهشة من المفاجأة.. ولكن الوقت لم يتسع لهما ليكشف ذلك الصوت الذي انبعث فجأة.. فما كادا يديران وجهيهما حتى هوى ذراعان حديديان فوق رأسيهما في صوت مكتوم، فترنح الاثنان ثم تهاويا فوق المنضدة الخشبية العتيقة، وقد خسر كل منهما بالفعل نصف أسنانه، ونصف جمجمته على الأقل !.

وفجأة دوى صوت ارتطام رصاصة فوق الدرع الحديدي، فالتفت ماجد بسرعة ولمح أحد المسلحين واقفا في مدخل القاعة شاهرا مسدسه.. ولولا الدرع الذي كان يمسك به ماجد لاستقرت الرصاصة في صدره.

ودوت رصاصتان أخريان فقفز ماجد إلى الخلف محتميا بدرعه، وفي حركة خاطفة التقط خنجرا من الحائط وطوح به صوب عدوه في رمية محكمة، فترنح المسلح ثم تهاوى على الأرض وقد استقرت السكين في صدره.

ولكن صوت طلقات الرصاص التي أطلقها المرتزق كان كفيلا بجذب كل سكان القلعة إلى المكان، فقفز بسرعة

عابرا القاعة وقد تسلح بأحد مدفعي الحارسين الرشاشين.. وفي اللحظة التالية علت أصوات صياح وهرولة أقدام.. وتناثرت طلقات الرصاص في كل اتجاه.

وصرخ أحدهم : لقد تسلل غريب إلى القلعة.

فأجابه آخر : هذا مستحيل.

وظهر أدولف مع رجاله شاهرين مدافعهم الرشاشة.. وبنظرة واحدة إلى داخل القاعة أدركوا حقيقة ما حدث، فصرخ أدولف في رجاله : اقبضوا على هذا المتسلل الذي فعل كل ذلك !.

ولكن وفي نفس اللحظة برز ماجد من الأمام شاهرا مدفعه الرشاش قائلا : سوف أوفر عليكم هذه المهمة.. حتى لا تبذلوا مجهودا ضائعا !.

فجمدت أصابع المرتزقة فوق أسلحتهم وهم يشاهدون فوهة السلاح المصوب إليهم.

وحدق أدولف في ماجد كأنما شاهد شبحا أمامه وغمغم قائلا : مستحيل أن تكون أنت.. لقد نسفت سيارتك و..

ولم يكمل أدولف عبارته أمام نظرة ماجد الباسمة الساخرة إلى أقصى حد.. فبتر حديثه وغمغم في حقد وهو يجز على أسنانه : أيها الشيطان.. لقد جئت إلى حتفك، وإن كنت قد نجوت في المرة السابقة من الموت، فإنك لن تنجو هذه المرة.

رفع ماجد حاجبيه سخرية وقال : أحقا.. إنني أشك يا عزيزي في أنك كنت تقاتل في السابق مجموعة من النساء العجائز، تعلمت منهن الثرثرة الفارغة، ثم الهرب في الوقت المناسب تماما.

صرخ أدولف في رجاله في غضب حاد : اقبضوا على هذا الشيطان الوقح.

فاندفع ثلاثة من المسلحين صوب ماجد، ولكن طلقات الرصاصات التي انطلقت من مدفعه الرشاش ألقتهم على الأرض لا يقدرون على الوقوف. وصاح ماجد في الباقين : ألا يزال يوجد هنا المزيد من الأغبياء، ممن يرغبون في مغادرة هذا المكان القذر وهم يزحفون على أيديهم، أو داخل نعوش مغلقة ؟.

وجاوبه الصمت والعيون المحدقة تجاهه في كراهية عميقة، فلوح ماجد بمدفعه الرشاش في سخرية قائلا : لقد أتيت إلى هنا لتحدي رئيسكم القذر وتسليمه بنفسي إلى الشرطة البريطانية ليتدلى من حبل المشنقة في النهاية، فأين هو، وهل يختبئ كالنساء أيضاً ؟.

ودار بعينيه في الواقفين كأنه يبحث عن الكولونيل سيرجي.. وبطرف عينه لمح الحركة السريعة من المرتزق الصيني.. في نهاية القاعة، فشاهده عندما امتدت يده سريعا إلى شيء كان يخفيه في ساعده ورشقه صوب ماجد في سرعة خاطفة.. ولولا أن ابتعد ماجد خطوة إلى الوراء لارتشقت سكين الصيني في رقبته..

حدث ذلك كله في لحظة خاطفة ولكنها كانت كافية لتشتيت انتباه ماجد بعض الشيء. وانتهز أدولف الفرصة وألقى بنفسه متدحرجا على الأرض وهو يطلق سيلا من الرصاص على ماجد.. وتدحرج ماجد على الأرض ليحتمي بجدار صخري صدعه الرصاص المنهمر عليه من كل اتجاه.. ولم يشعر بغير شيء ثقيل يسقط عليه من أعلى

ويلقي به متدحرجا إلى الأرض.. كان هو المرتزق الأسود العملاق.

وزمجر المقاتل الأسود مثل فهد أرقط، وطارت قبضته لتصيب ماجد في بطنه، ثم طارت قدمه إلى رقبة ماجد فأطاحت به إلى الوراء في عنف وسقط منه مدفعه الرشاش.

واندفع المرتزق الأسود العملاق وحمل ماجد فوق ذراعيه ودار به، ثم ألقاه نحو حائط صخري قريب ورأسه مصوب للحائط.. ولكن ماجد تنبه في اللحظة الأخيرة مستعيدا قواه، فدار حول نفسه ومس الحائط بقدميه، ثم اندفع إلى الخلف، وقفز في الهواء ليسقط خلف المرتزق الزنجي ثم طوقه بذراع حديدية وراح يضغط عليها بكل قوته وهو يقول له في قسوة: إنني يا عزيزي رجل المفاجآت.. ومن ثم أكره أن يفاجئني وغد ما بأي مفاجأة قذرة..

وشدد ضغطه على رقبة المرتزق الأسود مضيفا: وهأنذا أعبر لك عن غضبي لما فعلته بطريقة ستؤكد لك أنني أعني حقا ما أقول..

وحاول المرتزق انتزاع ذراع ماجد من رقبته دون فائدة

فتحشرجت أنفاسه وغامت عيناه.. وهوى ماجد فوق رأس عدوه بضربة هائلة من مرفقه ترنح لها العملاق الأسود ثم تهاوى على الأرض فاقدا وعيه.

ومرة أخرى تناثر الرصاص صوب ماجد وهو بلا سلاح فتسلق أقرب جدار إليه واختفى أعلاه.. وتصايح المرتزق وهم يندفعون خلف ماجد متسلقين نفس السور الصخري.

وما أن أطل أولهم لأعلى حتى أعادته قبضة ماجد من حيث جاء برأس مشجوج.. أما الثاني فأصابته قدم ماجد بتهتك في أنفه وأسقطته لأسفل دون حراك.

وتراجع ماجد للوراء وقد أدرك أن المرتزقة لن يغامروا بالصعود إليه حتى يكونوا تحت رحمته واحدا وراء الآخر.

وقد كان على حق فلم يحاول أحدهم تسلق السور الصخري ثانية.. غير أنهم كانوا يدبرون له شيئاً مختلفا.. ففي اللحظة التالية طارت قنبلة يدوية شديدة الاحتراق من أسفل وسقطت تحت قدمي ماجد..

وانفجرت القنبلة في الثانية التالية !..

ولكن انفجار القنبلة جاء بعد أن ركلها ماجد بكل

قوته، فطارت في الهواء عائدة من حيث جاءت.. وما كادت تلمس الأرض بأسفل حتى دوى انفجارها يهز أركان القلعة وسط المرتزقة.. وتعالى صياح المصابين وصراخهم..

وطارت عشرات القنابل إلى مكان ماجد لتنفجر في وقت واحد وتنسف المكان نسفا.

ولكن ماجد لم يكن في مكانه عندما انفجرت القنابل وعندما ساد الهدوء أخيراً صعد أدولف في حذر لأعلى.. لكن المكان المهدم كان خالي من أي أثر لماجد.. وغمغم أدولف في حقد وهو يراقب المكان المتهدم : أين ذهب هذا الشيطان الماكر ؟.

ودار بعينيه في أرجاء القلعة العريضة.. وهمس في حقد وهو يجز على أسنانه قائلا : إنني أدفع نصف عمري لأعرف أين إختفى هذا المصري، وكذلك ما ينوي أن يفعله، ولا كيف أتته الجرأة على دخول هذا المكان وحيداً بلا سلاح !.

ومن الخلف جاءه صوت خشن غاضب يقول : لقد خدعك هذا المصري مرة أخرى يا أدولف.

التفت أدولف في بطء وواجه نظرات رئيسه المقطبة المشتعلة بالغضب، ونكس رأسه دون أن يجد ما يرد به.. وارتعدت أصابع سيرجي وهو يواصل قائلاً : لقد فشلت في قتله بالأمس.. وواصلت جرأة هذا العميل المصري لأن يقتحم قلعتنا ويقاتلنا وهو وحيد وأعزل ونحن مدججون بالسلاح، دون أن نتمكن من القبض عليه.. وتكون النتيجة سقوط العديد من رجالنا قتلى وجرحى برصاصاتنا وقنابلنا.

عض أدولف شفتيه مغمغما : يا سيدي إنني..

ولكن إشارة من يد الكولونيل أوقفت عبارته، وجز سيرجي على أسنانه وهو يتأمل المصابين والقتلى حوله قائلاً : لقد خسرنا ما تبقى من رجالنا ولم يتبق لنا أكثر من ثمانية عشر رجلاً ففقدنا أغلب قوتنا مما يهدد كل خططنا وعمليات الاغتيال القادمة. وكل ذلك بسببك أنت.. وبسبب إهمالك.

وارتعدت أصابعه وهو يشير صوب وجه أدولف وعيناه تنطقان بالشرر مضيفاً: لقد أخطأت كثيراً.. وخطؤك الأخير لا يمكنني أن أتسامح معه أبداً.. وحتى أسوار القلعة لم

تنجح في حمايتها مع رجالك واستطاع هذا المصري التسلل إليها وأنتم تغطسون في نوم عميق.. ويبدو أنه قد حان أوان نومك العميق يا أدولف فلا مكان لديَّ للفاشلين أمثالك.

اتسعت عينا أدولف في رعب وذهول مغمغما : ماذا تقصد يا سيدي ؟.

وجاوبه الكولونيل : أنا أقصد ما عنيته بالضبط.

وصوب مسدسه إلى رأس أدولف فجثا المرتزق على قدميه متوسلا : الرحمة أيها الكولونيل إنك لا يمكن أن تقتلني فقد خدمنا معا وكنا أصدقاء.

فغمغم الكولونيل سيرجي في صوت أجوف : إن المرتزق لا صديق له غير نفسه.

ثم أطلق رصاصة واحدة.

وتهاوى أدولف على الأرض دون حراك وقد ارتسمت في عينيه نظرة فزع رهيبة.. وظهر ثقب صغير في رأسه سال منه خيط رفيع من الدماء.

جمد بقية الرجال أماكنهم.. كأنما أصابهم شلل.. ثم

أفاقوا بعد لحظة على صوت الكولونيل الغاضب وهو يصيح فيهم : أسرعوا بتفتيش كل ركن في القلعة، فأنا أريد القبض على هذا الشيطان المصري حيا أو ميتا.

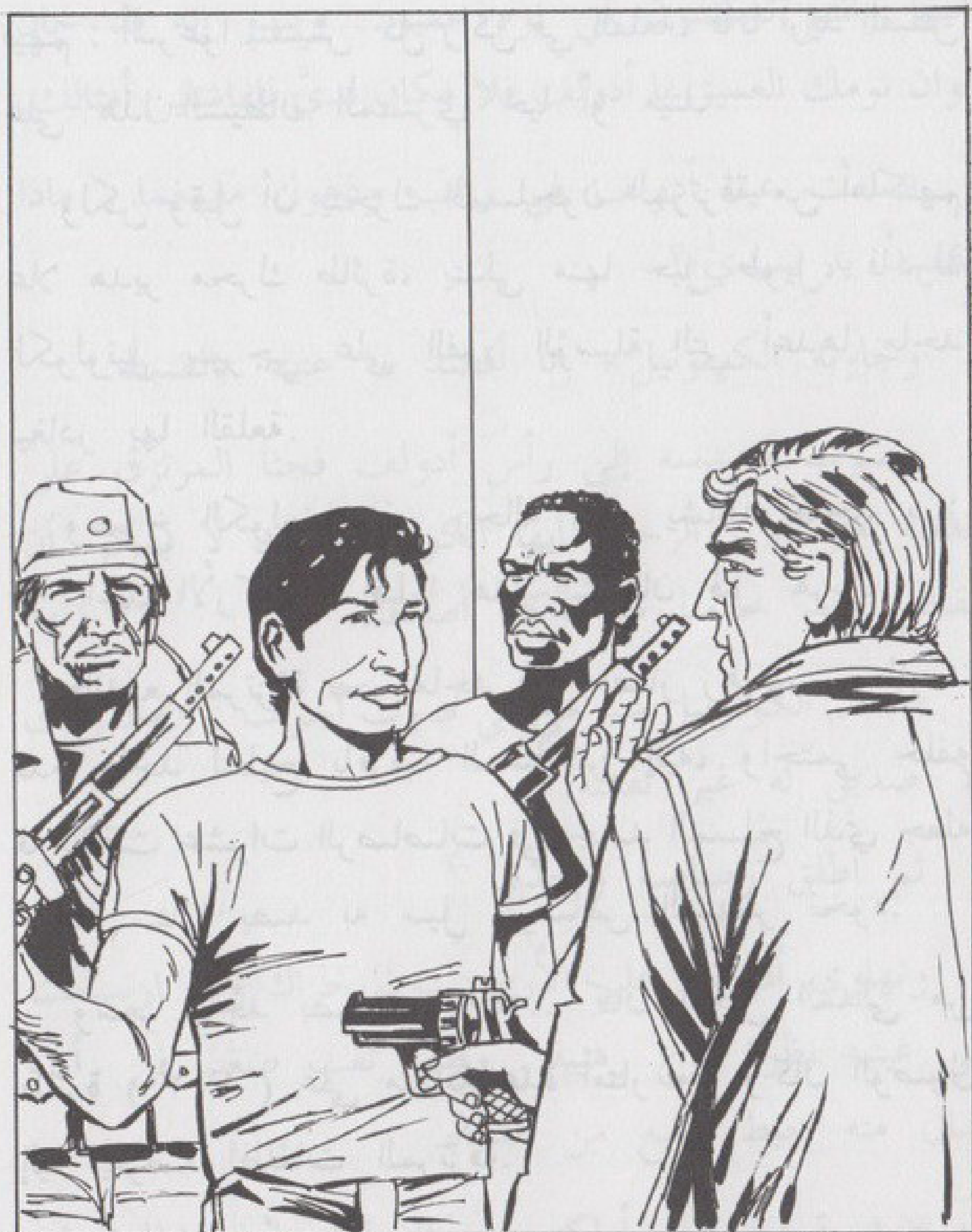
ولكن وقبل أن يتحرك المسلحون المرتزقة من أماكنهم علا هدير محرك طائرة، يتدلى منها حبل طويل، فأدرك الكولونيل سيرجي على الفور الوسيلة التي أعدها ماجد ليغادر بها القلعة.

وصرخ الكولونيل في رجاله وهو يشاهد ماجد يبرز من أحد الأركان : اقتلوا هذا الشيطان قبل هربه.

فاندفع المرتزقة نحو ماجد في حصار رهيب.. وطارت قدم ماجد لتطيح بأقرب المسلحين إليه، واحتمى خلفه فارتشقت عشرات الرصاصات في جسد المسلح الذي جعله ماجد ستارا يصد به سيل الرصاص المنهمر نحوه.

وشعر ماجد بضعف موقفه.. كان الحبل المدلى من طائرة (١١٣) على مسافة عدة أمتار منه وكان الوصول إليه يعرضه لطلقات المرتزقة.

ولكن وفجأة دوى انفجار شديد.. وتصاعد دخان



كثيف.. ثم سقطت قنبلة دخان أخرى من أعلى.. وأدرك ماجد أن رقم (١١٣) قد تصرف بالطريقة المناسبة فاندفع بكل سرعته وتعلق بالحبل المدلى لأسفل، وسرعان ما كان يرتفع لأعلى الطائرة ذات المحرك الواحد تحمله بعيدا عن القلعة.

وتنبه المرتزقة للخدعة فأطلقوا سيلا من الرصاص نحو ماجد المدلى من الحبل.. ولكن مهارة (١١٣) وقيادته للطائرة بطريقة بهلوانية جعلت ماجد يتأرجح كبندول الساعة في الهواء فطاشت كل الرصاصات التي أطلقت عليه. وغابت الطائرة براكبها حتى اختفت عن العيون، واندفع أحد الرجال إلى الكولونيل ممسكا بورقة في يده قائلا: لقد أسقط هذا المصري تلك الورقة فوق سور القلعة وهو معلق بالحبل المدلى من الطائرة.

فتح الكولونيل الورقة بأصابع مرتعشة وقد ملأه الغضب.. كانت بداخلها كلمات قليلة تقول: كولونيل سيرجي.. إنني أتحداك وكل رجالك.. فإذا كانت لا تزال لديك بقية من شجاعة فانتظرني في الغابة الواقعة خلف القلعة غدا وقت الغروب.

أطبقت أصابع الكولونيل حول الورقة فمزقتها في ثورة غضب عارمة، وهتف المرتزق الصيني قائلاً: قد تكون خدعة فلعل هذا المصري نصب لنا شركا في هذا المكان.

ارتعدت شفتا الكولونيل سيرجي بغضب مرير وقال: حتى لو كان هذا الشيطان قد نصب لنا ألف شرك في تلك الغابة فسوف أقبل التحدي وأذهب لمقابلته هناك.

وجز على أسنانه وهو يضيف: ولسوف تكون نهايته هناك على يدي.. بعد أن أذيقه من العذاب ما لم يتخيل وجوده على الأرض أبدا.. ولسوف أعد له من الفخاخ والشراك ما هو كفيل بقنص جيش كامل وليس فردا واحدا، مهما بلغت قوته ومهارته..

وحدق في رجاله بعينين خبيثتين ثم قال: ولكننا لن ننتظر إلى أن يأتي هذا الثعلب المصري ليتحدانا غدا.. بل سنبادر بالعمل وقبل أن تغيب شمس هذا اليوم !.

وانطلق يضحك ضحكة شيطانية خبيثة !.

* * *

تسلق ماجد الحبل المدلى لأسفل سريعا.. واستقر في المقعد المجاور لرقم (١١٣) الذي هتف به في سعادة غامرة : مرة أخرى لا أصدق أنك نجوت وعدت حيا من تلك القلعة الرهيبة.

فربت ماجد على كتف (١١٣) قائلاً : لقد أنقذت حياتي مرة أخرى أيها الصديق البدين.

مط ماهر شفتيه في استياء قائلا : وما الذي فعلته لك.. مجرد قنبلتي دخان تافهتين ألقيت بهما في قلب القلعة.. إن بعض الأطفال المشاغبين يمكنهم أن يفعلوا أكثر مما فعلت.

ضحك ماجد قائلا : لا تكن متواضعا هكذا أيها الصديق.

التفت (١١٣) إلى ماجد في لهفة متسائلا : أخبرني ماذا فعلت داخل القلعة ؟.

ابتسم ماجد وهو يجيبه : لقد كانت مجرد نزهة صغيرة جددت فيها نشاط دورتي الدموية، بالإضافة إلى أنني قمت بإنقاص عدد رجال الكولونيل سيرجي إلى النصف.. وهذا سيعطل خططه القادمة في الاغتيال وسيشغله عنها.. وهو

معناه إنقاذ بعض الضحايا الأبرياء الذين كان هذا السفاح يخطط لقتلهم.

وأضاف وعيناه تومضان ببريق حاد : وغدا سوف تكون المعركة الفاصلة بيني وبينه هو ورجاله في الغابة خلف تلك القلعة.

التفت رقم (١١٣) في ذهول إلى ماجد متسائلا : هل تنوي الذهاب غدا بالفعل لتقاتل أولئك المرتزقة ؟.

ماجد : إنني لم أعتد الهرب من التحدي أبدا.. وأنا الذي أعلنت هذا التحدي ولن أتركه لأي سبب.

رقم (١١٣) : ولماذا لا تبلغ الشرطة الإنجليزية عنهم فيسعون إلى القبض عليهم داخل الغابة، وبذلك لا تعرض نفسك للخطر، وتنهي العملية بطريقة آمنة في نفس الوقت ؟.

ابتسم ماجد ساخرا وهو يجيب : يا عزيزي إن الشرطة الإنجليزية لن تؤدي المهمة بنفس الطريقة، وقد تؤدي بعض الاعتبارات الدبلوماسية لإطلاق سراح هؤلاء الأوغاد في صفقة من نوع ما.. أما أنا فلست بالرجل الذي يعقد الصفقات.. وخاصة مع صنف الأوغاد !.

والتفت إلى ماهر قائلا : ارجو أن تهبط بي في أقرب مطار من برج لندن، فهناك عمل مهم يجب أن أقوم به، وسأعود إليك في المساء لنتناول العشاء معا.

فأومأ رقم (١١٣) برأسه موافقا وشفتاه تهتزان في توتر بالغ..

وبلل ماهر شفتيه الجافتين، وبدا كأنه يريد أن يقول شيئاً. ثم غالب تردده والتفت الى ماجد قائلاً : هل يمكنني أن أشاركك مهمة الغد ؟.

بان القلق في عيني ماجد وقال معترضا : ولكن..

هتف (١١٣) في توسل : أرجوك.. لا تحرمني من هذا الشرف.. فقد صرت تواقا للمشاركة في أي نوع من المهام القتالية وخدمة بلادي خدمة حقيقية.

ومسح دمعة ترقرقت في عينيه وهو يقول : لقد صرت أشعر بأنني رجل عجوز لا يصلح لأي شيء.. وتمنيت من الله أن تحدث معجزة تجدد نشاطي وتعيد مجد الأيام القديمة الرائعة، فاستجاب الله لدعائي وأرسلوك أنت بالذات إلى هذه المهمة.

رمق ماجد (١١٣) في إشفاق.. كان يدرك ما يعانيه صديقه البدين، وكيف أن رجلا اعتاد القتال والقيام بالمهام طوال عمره، فإنهم عندما ينقلونه إلى الأعمال الإدارية فكأنما حكموا بموته وهو حي.. وبدا وجه رقم (١١٣) مفعما بمشاعر ألم وأسى لا حد لها.

وفي بطء وإشفاق أجابه ماجد : حسنا يا صديقي العزيز.. لسوف تشاركني مهمة الغد بشرط.. أن تنفذ كل ما أطلبه منك وألا تشارك في القتال إلا قليلا وتحت حمايتي.

التمعت عينا (١١٣) وصفق بيديه في سعادة كطفل صغير هاتفا : إنني لن أنسى لك هذا الجميل أبدا يا رقم (٧٠٠).

ومن أسفل ظهر برج لندن الشهير، فحوم (١١٣) بطائرته في حركة بهلوانية وهو يدور حول البرج، فسأله ماجد في دهشة : ماذا تفعل يا ماهر ؟.

فأجابه (١١٣) في بهجة : إنني احتفل بتلك المناسبة السعيدة.. وليس بأقل من أن أقوم بتعطيل المرور في قلب لندن بأكملها !!.

ابتسم ماجد.. وراقب صديقه في سعادة وهو يشعر بابتهاجه البالغ وهو يقوم بحركات بهلوانية رائعة حول البرج.

وبأسفل تجمع عدد كبير من المشاهدين وتعطل المرور وقائدو السيارات يتطلعون لأعلى ليشاهدوا ذلك الطيار البهلوان..

ثم اندفع ماهر بطائرته إلى الساحة المواجهة للبرج وهبط فوقها، وقفز من مقعده وفتح الباب المواجه لماجد وهو يقول ضاحكا : لقد وصلنا أيها الصديق الرائع فتفضل بالهبوط !.

قال ماجد ضاحكا : لقد طلبت منك الهبوط في أقرب مطار وليس أقرب ساحة من برج لندن.

هز (١١٣) كتفيه قائلا : إنني رجل عجوز كما ترى وتختلط علي أماكن الهبوط !.

قفز ماجد من مقعده إلى الأرض وهو يراقب نظرات المتجمعين حول الطائرة في دهشة بالغة.

وما أن شاهد رقم (١١٣) أحد رجال شرطة المرور وهو يهرع إليه حتى قفز إلى مقعد القيادة، واندفع بطائرته

لأعلى، فأسرعت الطائرة كطائر هارب مذعور تمتطي الهواء. وضحك رقم (١١٣) سعيدا وهو ينظر لأسفل نحو شرطي المرور.. لأن طائرته لم تكن تحمل رقما ما.. يمكن أن يسجل به الشرطي مخالفة مرور !.

وغمغم الشرطي في غضب : هذا الطيار الأحمق.. لو أنني قبضت عليه لقضى شهرا في السجن وسحبت منه رخصة قيادة الطائرة.

ثم تذكر ذلك الراكب الذي هبط من الطائرة قبل لحظات..

وعندما استدار باحثا عنه.. كان ماجد قد غاب وسط الزحام !.

اغتيال.. عميل

لهث رقم (١١٣) بشدة وتفصد العرق من فوق صدره العاري وذراعيه، بالرغم من الجو البارد داخل الشقة العريضة المطلة على نهر التيمز. وبالرغم من الاحتقان الشديد والإجهاد الذي صار يشعر به (١١٣) فإنه واصل أداء تمارينه الرياضية في قسوة وعنف. سنوات طويلة منذ توقف عن أداء تلك التمارين حتى ترهل وصار على تلك الصورة.. ولكن كل ذلك قد انقضى الآن.. وسيعود رشيقا خفيف الحركة كما كان من قبل.. فقد عادت أيام الإثارة والمعارك من جديد.

وانحنى على الأرض ليمارس تمارين الضغط.. ولكن كرشه الضخم كان بمثابة عائق له ليؤدي تلك التمارين على الوجهة الصحيحة، ولكنه برغم ذلك واصل عمله في

إصرار وقد احتقن وجهه بشدة كأنه يتحدى نفسه.

ثم تهاوى على الأرض وقد بلغ به الإجهاد كل مبلغ..

واعتدل لاهثا غارقا في عرقه.. كانت كل عضلة في جسده تؤلمه بشدة بسبب الإجهاد المفاجئ لها.. ويشعر بتقلص فيها.

وغمغم ماهر لنفسه في ألم : لقد جاء رقم (٧٠٠) متأخرا كثيرا.. ولو أنه جاء قبل عام أو اثنين لربما اختلف الوضع كثيرا بالنسبة لي.. وأمكنني القتال بجواره بصورة أفضل.

ثم تذكر وعده لماجد بمشاركته مهمة الغد، فاستعاد نشاطه وحيويته وقفز من مكانه هاتفا : إنني لن أخذله أبدا.. لقد جاءتني الفرصة ولن أدعها تفلت من يدي.. فليس من اللائق أن يخذل أي إنسان صديقا رائعا مثل رقم (٧٠٠).

واتجه إلى حجرة نومه وفتح الدولاب.. وأمسكت أصابعه بعلبة معدنية فتحها في حرص.. وبداخلها ظهر مسدس كبير من طراز « ماغنوم ٣٨ »، تحسسه ماهر في رهبة.